الجيل العربي الجديد
يجب أن يكون موحد الثقافة:
- معرفة حقيقة جوهر الدين
- مواكبة الحضارة الحديثة

الأستاذ محمد سماك (لبنان)

انني من الذين يذهبون مذهب الربط بين الاسلام والعربية. وحسبي برهنة على ذلك ان القرءان الكريم قد انزل باللسان العربي ، وان ملايين المسلمين ـ عربا وعجما ـ مضطرون الى ان يرتلوه ويتلوه به . ثم انني الاحظ ان مستوى العربية في البيئات الاسلامية ارقى منه في المجتمعات غير الاسلامية . فانتشار اللغة العربية ـ في اعتقادي ـ منوط بانتشار الاسلام . ونحن نعلم انه لما خرجت الدعوة من شبه جزيرة العرب خرجت العربية من تلك البيئة الجغرافية المحدودة ، وانطلقت اني انطلق الاسلام . بل الاحظ ان العربية موقرة ، مبجلة في اوساط المتدينين ، اي حيث يقوى الوازع الديني ويشتد .

اما اليوم فان الثقافة الرائدة في لبنان هي الثقافة الاجنبية التي تحمل لواء نشرها وتعميمها البعثات التبشيرية المسيحية الاجنبية وبعض المؤسسات الاجنبية والمحلية الخاصة .

ثم ان كون نصف سكان لبنان على الاقل من غير المسلمين ، وحرصهم على اظهار لونهم وكيانهم الذاتي وسط مجموعة من الشعوب الاسلامية التي تحيط بهم في منطقة الشرق الاوسط ادى الى اندفاع هذه الفئة من اللبنانيين نحو الثقافة الغربية بصورة عامة لارتباط مستقبلهم السياسي ومصالحهم العامة بالعالم الغربي .

ان هذا التيار الثقافي جرف عددا كبيرا من المثقفين المسلمين وبصورة خاصة اولئك الذين تربطهم بالاسلام لوراثة اكثر من الايمان، او الذين يمارسون الاسلام بالعصبية اكثر مما يمارسونه بالعبادة .

وكما هو طبيعي ، فقد تركت الثقافة الغربية آثارها العميقة على :

1) تفكير هؤلاء .

2) وعلى طريقة تفكيرهم .

واذا كان موضوع الفكر في حد ذاته ليس هو موضوعنا ، الآن فان طريقة التفكير واللغة هي اداته ووسيلته التعبيرية تكشف لنا عن الوقائع التالية :

1 ـ هناك دعوة ملحة لاستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني كما جرى في تركيا على يد (اتاتورك) ويتزعم هذه الدعوة الاديب اللبناني (سعيد عقل) وقد الف بالفعل كتابا اسمه (يارا) بهذه (اللغة الجديدة).

2 ـ وهناك ايضا دعوة لاستبدال اللغة العربية الفصحى باللغة المحلية المحكية . وقد نشرت بالفعل عدة مقالات وابحاث وصدرت كتب مختلفة « بهذه اللغة » ايضا .

3 ـ وهناك كذلك دعوة تلقى رواجا واسعا في اوساط المثقفين اللبنانيين للخروج من دائرة التعبير اللغوي التقليدي الرصين ، الى دائرة اقل التزاما بمباديء اصول اللغة ، وذلك على غرار ما يجري في الدول الاوروبية حديثا ، ولعل ما بات يعرف الآن بالشعر الحديث هو واحد من نتائج هذه الدعوة .

على ضوء هذه المعطيات الاولية قد يكون من المفيد ان نعود قليلا الى الوراء ، الى فترة الحكم العثماني في المنطقة العربية ، فلقد كان دين الدولة الاسلام ، دستورا وممارسة ، وكانت العناصر غير الاسلامية خاصة في لبنان ، تحمل لواء اللغة العربية في مختلف اقطار المنطقة ولاسيما في مصر والعراق . اذ انه في ذلك الوقت ، لم تكن « شخصية » تلك العناصر تتمتع بما تتمتع به الآن من استقلال ذاتي من بقية مجموعة الشعوب العربية .

اما في وقتنا الحاضر فلا يقتصر ما هو كائن على عكس ما كان ، بل ان شعارات الثورية والتقدمية تعم بعض الدول العربية حتى تبدو هذه الدول ، وكأنها تحللت ، او على الاقل تحاول ان تتحلل من الاربطة التي تشدها الى الاسلام كدين للعبادة وكمنهج في الحياة .

واذا اخذنا لبنان الذي كان منارة الثقافة العربية ، بالتالي منارة اللغة العربية في العهد العثماني ، فاننا نجده الآن يتجه بعمق نحو الثقافة الغربية شكلا ومحتوى ، نتيجة التحولات المشار اليها في صميم تكوينه المجتمعي . فانتاج دور النشر اللبنانية هو بالفعل انتاج غزير جدا ، غير اننا بعد التعمق في درسه نجد ان اكثريته الساحقة هي عبارة عن مترجمات او مقتبسات من الادب او الفكر الغربي ، ونجد ايضا ان الانتاج العربي الصميم غالبا ما يقتصر على اعادة طبع مؤلفات قديمة او تلخيص لتلك المؤلفات . واما الانتاج الحديث فهو في اكثريته منطلق فكريا من معطيات لا تمت الى العربية الا بصلة كون الحواجز مرفوعة بين منابع الثقافة العالمية في عصر صغرت فيه الدنيا ولم يعد يحسب للمسافات حساب .

وهناك ايضا امر آخر لابد من الوقوف عنده وهو ان نوع المادة المكتوبة في الثلث الاخير من القرن العشرين تفرض الى حد معين نوع اللغة . وبكلام آخر ، لقد تفتحت امام العالم آفاق علمية واسعة من المعرفة ، واستحدثت كلمات وتعابير لم تكن موجودة في اللغات من قبل ، ولما كان موكب الحضارة العربية في هذا الوقت مقصرا عن اللحاق بالركب العالمي ، فان اللغة العربية تبدو بالتالي مقصرة هي الاخرى . ليس المهم هنا القاء المسؤولية على عاتق اللغة او على عاتق اصحاب اللغة انما المهم هو اقرار الحقيقة التالية :

ان انتشار او انحسار اللغة العربية ليس مرتبطا دائما بقوة او بضعف الاسلام ، انما هو انعكاس لمدى انفتاح او انغلاق الفكر العربي ولمدى تقصيره او مساهمته في عالم الكشوف العلمية والتحولات السريعة في معرفة حقائق الكون المجهولة .

ومهما بذل المعربون من جهود فانهم يبقون عاجزين عن ازالة هذه الوصمة عن جبين اللغة العربية رغم ان هذه اللغة مهيأة في تكوينها الطبيعي لاستخراج كل ما يحتاجه العلم الحديث من كلمات وتعابير جديدة .

ان المجتمع العربي كما يبدو اكثر وضوحا في لبنان منه في اي مكان آخر يقوم على اساس ثقافتين اثنتين ، الاولى : **ثقافة دينية تجهل اصول العلم** والتقنية الحديثتين ، والثانية : **ثقافة علمية مجردة** ، جاحدة او جاهلة لحقيقة الاسلام . ومن المؤسف ان يكون الاحتكاك بين هاتين الثقافتين ، على حساب اللغة العربية من حيث ان الاولى المتهمة بالجهل والتأخر **والعجز عن مواكبة تطور العصر تستعمل اللغة** العربية اداتها التعبيرية ، فتنفر الثانية منها وتزيد في اندفاعها نحو اللغات الاجنبية التي تعتبرها لسان الحضارة . ولذلك فكثيرا ما نسمع مهندسا او طبيبا او حتى محاميا يدعي انه يفكر باللغة الاجنبية ، افضل واسرع مما لو يفكر باللغة العربية . من كل ذلك ، اريد ان اسجل الحقيقة التالية ، وهي ان **هناك اسبابا نفسية واخرى ثقافية حديثة الى جانب الاسباب الدينية ، تلعب دورا اساسيا في تقرير قوة او ضعف اللغة العربية في المجتمعات الاسلامية** . ولعل ذلك ما يفسر الفشل في تعميم اللغة العربية حتى الآن في الباكستان واندونيسيا وماليزيا او حتى

في بعض الاقطار الافريقية حيث كل السكان او اكثريتهم الساحقة من المسلمين الذين يتمسكون بلغة القرءان الكريم كاحدى الروابط الدينية المقدسة التى لا انفصام لها .

اما كيف يمكن التغلب على هذا الواقع فربما تكون هناك وسائل عديدة اهمها فى نظري يقوم على تنشئة جيل جديد يدرس :

1 ـ الثقافة الدينية جنبا الى جنب مع الثقافة العلمية الحديثة .

2 ـ ويدرس مختلف انواع العلوم باللغة العربية بعد أن يكون قد تم تعريب المصطلحات والمفردات المستحدثة . وبذلك ينبثق من المجتمعات الاسلامية جيل موحد الثقافة يجمع بين معرفة حقيقة جوهر الدين الاسلامي من جهة ، ويواكب سير الحضارة العصرية من جهة ثانية بلغة واحدة قادرة على أن تلبي كل حاجيات التطور ومتطلباته .